تفسير كلّ آية بجملة

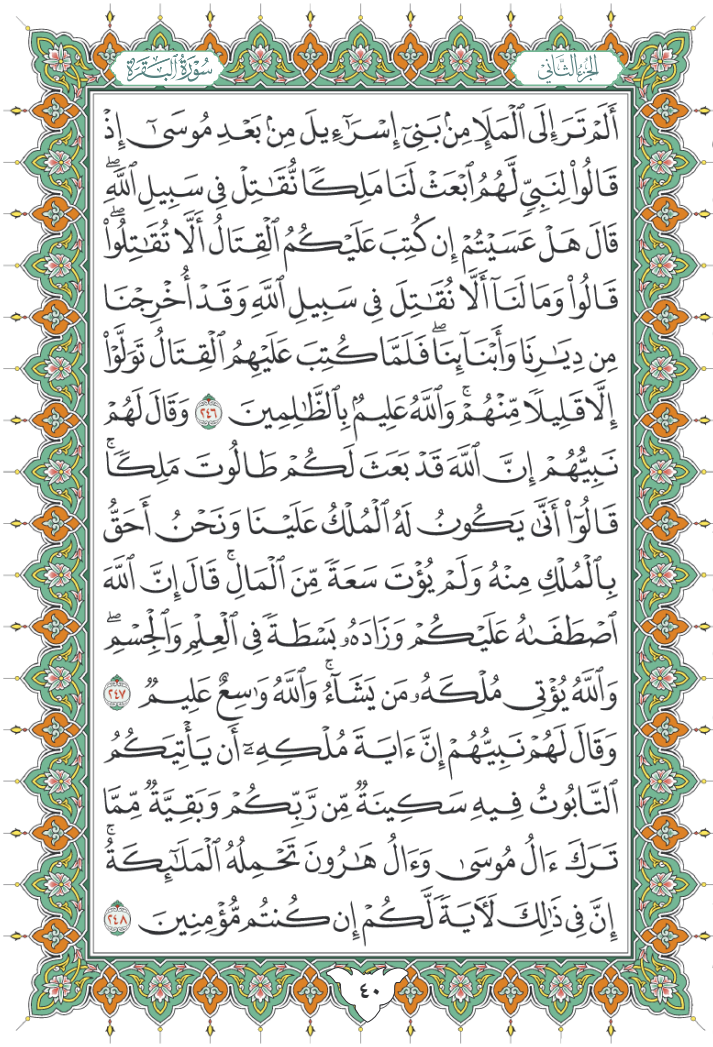

﴿٢٤٦﴾ - تنبّه إلى النّبأ العجيب عن جماعة من بني إسرائيل بعد عهد موسى، طلبوا من نبيّهم في ذلك الوقت أن يجعل عليهم حاكمًا يجمع شملهم بعد تفرّق، ويقودهم تحت لوائه لإعلاء كلمة الله واستردادًا لعزّتهم، سألهم ليستوثق من جدّهم في الأمر: ألن تجبنوا عن القتال إذا فرض عليكم؟ فأنكروا أن يقع ذلك منهم قائلين: وكيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا وقد طردنا العدوّ من أوطاننا؟... فلما أجاب الله رغبتهم وفرض عليهم القتال، أحجموا إلا جماعة قليلة منهم. وكان إحجامهم ظلمًا لأنفسهم ولنبيّهم ودينهم، والله يعلم ذلك منهم وسيجزيهم جزاء الظّالمين.

﴿٢٤٧﴾ وقال لهم نبيّهم: إنّ الله استجاب لكم فاختار طالوت حاكمًا عليكم. فاعترض كبراؤهم على اختيار الله قائلين: كيف يكون ملكًا علينا ونحن أولى منه، لأنّه ليس بذي نسب ولا مال، فردّ عليهم نبيّهم قائلًا: إنّ الله اختاره حاكمًا عليكم لتوافر صفات القيادة فيه، وهي سعة الخبرة بشؤون الحرب، وسياسة الحكم مع قوّة الجسم؛ والسّلطان بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ولا يعتمد على وراثة أو مال، وفضل الله وعلمه شامل، يختار ما فيه مصالحكم.

﴿٢٤٨﴾ وقال لهم نبيّهم: إنّ دليل صدقي على أنّ الله اختار طالوت حاكمًا لكم، هو أن يعيد إليكم صندوق التّوراة الذي سُلب منكم تحمله الملائكة، وفيه بعض آثار آل موسى وآل هارون الذين جاءوا بعدهما، وفي إحضاره تطمئنّ قلوبكم، وإنّ في ذلك لدليلًا يدفعكم إلى اتّباعه والرّضا به إن كنتم تُذعنون للحقّ وتؤمنون به.

الآيتان ٢٤٦- ٢٤٧

قصّة النّبيّ صمويل والملك طالوت وترك بني إسرائيل الجهاد

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَث لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: بعد أن بيّن الله تعالى في الآيات السّابقة حكمة تشريع القتال لحماية الحقّ وصون عزّة الأمّة وكرامتها، بيّن هنا قصّة قوم من بني إسرائيل أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر، كما خرج أصحاب القصّة الأولى بالجبن، لكن جاءت هذه القصّة مفصّلة تبيّن ما في القصّة الأولى المجملة.

والهدف من هذه الآيات البيان للمؤمنين بأنّ القتال كان مطلوبًا مشروعًا في الأمم السّابقة، وليس حكمًا مخصوصًا بهم.

المعنى العام

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَث لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾.

يقول الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمّد- فتعتبر- ﴿إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى﴾ إلى قصّة جماعة من بني إسرائيل من بعد موت موسى حين طلبوا الجهاد .

قال وهب بن منبّه، وغيره: "كان بنو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى عليه السلام عَلَى طَرِيقِ الاستقامة مدة من الزَّمَانِ، ثمّ أَحْدَثُوا الْأَحْدَاثَ وَعَبَدَ بَعْضُهُمُ الْأَصْنَامَ، وَلَمْ يَزَلْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُقِيمُهُمْ عَلَى مَنْهَجِ التَّوْرَاةِ إِلَى أَنْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَأَسَرُوا خَلْقًا كَثِيرًا وَأَخَذُوا مِنْهُمْ بِلَادًا كَثِيرَةً، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُقَاتِلُهُمْ إِلَّا غَلَبُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ وَالتَّابُوتُ الَّذِي كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَكَانَ ذَلِكَ مَوْرُوثًا لِخَلَفِهِمْ عَنْ سَلَفِهِمْ إِلَى مُوسَى الْكَلِيمِ عليه السلام، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ تَمَادِيهِمْ عَلَى الضَّلَالِ حَتَّى اسْتَلَبَهُ مِنْهُمْ بَعْضُ الْمُلُوكِ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ، وَأَخَذَ التَّوْرَاةَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَلَمْ يبق من يحفظها فيهم إلى الْقَلِيلُ، وَانْقَطَعَتِ النُّبُوَّةُ مِنْ أَسْبَاطِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ مَنْ سِبْطِ (لَاوِي) الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْأَنْبِيَاءُ إِلَّا امْرَأَةٌ حَامِلٌ مِنْ بَعْلِهَا، وَقَدْ قُتِلَ فَأَخَذُوهَا فَحَبَسُوهَا فِي بَيْتٍ وَاحْتَفَظُوا بِهَا لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُهَا غُلَامًا يَكُونُ نَبِيًّا لَهُمْ، وَلَمْ تزل المرأة تدعو الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَهَا غُلَامًا فَسَمِعَ اللهُ لَهَا وَوَهَبَهَا غُلَامًا فَسَمَّتْهُ (شَمْوِيلَ) أَيْ سمع الله دعائي ومنهم من يقول (شمعون)... وَهُوَ بِمَعْنَاهُ فَشَبَّ ذَلِكَ الْغُلَامُ وَنَشَأَ فِيهِمْ وَأَنْبَتَهُ اللهُ نَبَاتًا حَسَنًا، فَلَمَّا بَلَغَ سِنَّ الْأَنْبِيَاءِ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَتَوْحِيدِهِ، فَدَعَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُقِيمَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُونَ مَعَهُ أَعْدَاءَهُمْ،

وَكَانَ الْمُلْكُ أَيْضًا قَدْ بَادَ فِيهِمْ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيّ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن أَقَامَ اللهُ لَكُمْ ملكًا أَلَّا تقاتلوا وتفوا بِمَا الْتَزَمْتُمْ به مِنَ الْقِتَالِ مَعَهُ؟ ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ أَيْ وَقَدْ أُخِذَتْ مِنَّا الْبِلَادُ وَسُبِيَتِ الْأَوْلَادُ! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أَيْ مَا وَفَوْا بِمَا وَعَدُوا بَلْ نَكَلَ عَنِ الْجِهَادِ أَكْثَرُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِهِمْ"[1].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ يقال له: شمويل، وقيل: شمعون ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ يسوس أمرنا ونرجع إليه في رأينا، إذ الحرب لا تستقيم بغير إمام ﴿نُقَاتِلْ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ قال لهم نبيّهم: هل أنتم قريب من التولّي والفرار إن كتب عليكم القتال؟ والمعنى: أتوقّع جبنكم عن القتال إن فرض عليكم. والأصل: عساكم أن تجبنوا إن فرض عليكم! فقالوا في جوابه: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ أي: أيّ مانع يمنعنا من القتال وقد وجد داعيه؟ وهو تسلّط العدوّ علينا، فأخرجنا من ديارنا وأسر أبناءنا، وكان الله تعالى قد سلّط عليهم جالوت ومن معه من العمالقة، كانوا يسكنون ساحل بحر الرّوم بين مصر وفلسطين، وذلك لمّا عصوا وسفكوا الدّماء، فخرّب بيت المقدس، وحرّق التّوراة، وأخذ التّابوت الذي كانوا ينتصرون به، وسبى نساءهم وذراريهم. روي أنّه سبي من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين، فسألوا نبيّهم أن يبعث لهم ملكًا يجاهدون معه، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ ويسّر لهم ملكًا يسوسهم وهو طالوت، ﴿تَوَلَّوْا﴾ جبنوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم من عبر النّهر مع طالوت، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيُخزيهم ويُفسد رأيهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

لمّا طلبوا من نبيّهم أن يعيّن لهم ملكًا منهم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ شمويل ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ عيّنه الله لكم لتقاتلوا معه، وكان رجلًا من أجنادهم، ولم يكن من بيت الملك فيهم، لأنّ المُلْكَ كان في سبط يهوذا، ولم يكن هذا من ذلك السّبط، فلهذا ﴿قَالُوا﴾ تعنّتًا وتشغيبًا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ أي كيف يكون ملكًا علينا وهو ليس من دار الملك؟ لأنّ المملكة كانت في أولاد يهوذا، وطالوت من أولاد بنيامين، والنّبوّة كانت في أولاد لاوي، وكان طالوت فقيرًا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ فلا مال له يتقوّى به على حرب عدوّه. وهذا اعتراض منهم على نبيّهم وتعنّت، وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف، فأجابهم النّبيّ قائلًا: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ اختاره الله لكم من نبيّكم رغم أنفكم، والله أعلم به منكم، ولسان حاله يقول: لست أنا الذي عيّنته من تلقاء نفسي، بل الله أمرني به لمّا طلبتم منّي ذلك ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ فهو مع هذا أعلم منكم وأنبل، وأشكل منكم، أي أتمّ علمًا وقامة منكم، ليكون أعظم خطرًا في القلوب، وأقوى على مقاومة العدوّ ومكابدة الحروب، وهذا يدلّ على أنّه ينبغي أن يكون المَلِك ذا علمٍ، وشكلٍ حسن، وقوّةٍ شديدة في بدنه ونفسه، ثمّ قال: ﴿وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ فهو سبحانه الحاكم ملك الملوك يضع ملكه حيث شاء، ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه، ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ فالله واسع الفضل يوسّع على الفقير ويغنيه بلا سبب، ويختصّ برحمته من يشاء، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقّ المُلك ويليق به ممّن لا يستحقّه.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، عن وهب بن منبّه، باب: سورة البقرة، الآية: ٢٤٧، ج١، ص٥٠٦.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيتين:

١. لا تتمنَّ لقاء العدوّ، وإن لقيته فاصبر واثبت، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾[١].

٢. لا تسأل الله تعالى البلاء وَسَلْهُ العافيةَ، فإن جاءك البلاء فاصبر واحتسب.

٣. لا تقس الأمور بعقليّة من يستحق النّعمة الفلانيّة ومن لا يستحق، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

٤. لا تتمنَّ أن تكون في زمن رسول الله ﷺ، فإنّك لا تدري هل كنت ستكون مع السّابقين من المهاجرين والأنصار، أم ممّن غلبت عليهم أهواؤهم وحسدهم، وآثروا دنياهم واتّبعوا أغلب ما كان عليه النّاس فحاربه وقاتله. ولكن ها أنت مسلم مؤمن تحبّه وتؤمن به، فانصره وانصر دينه وانشره، وأثبت له أنّك تحبّه.

٥. من ترك الجهاد والإعداد كما أمر الله تعالى بقوله ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[٣] استباح الأعداء بلاده، وأذاقوهم أنواع الذلّ والهوان.

٦. الفرق بين النّبيّ والرّسول:

النّبيّ: إنسان حرّ ذَكَر من بني آدم، أوحى الله إليه بشريعة من قبله من الرّسل.

الرّسول: إنسان حرّ ذَكَر من بني آدم، أوحى الله إليه بشريعة جديدة وإن في بعض المسائل.

٧. القاعدة: كلّ رسول نبيّ، وليس كل نبيّ رسولًا: الأنبياء الخمسة والعشرون المذكورة أسماؤهم في القرآن الكريم، كلّهم رسل.

إنّ عدد الأنبياء والرّسل المذكورين في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيًّا ورسولًا، منهم ثمانية عشر نبيًّا ورسولًا ذكرت أسماؤهم في موضع واحد من القرآن في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٤] والسّبعة الباقون هم: **إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم ونبيّنا محمّد صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين.**

٨. قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَث لَّنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾[٥].

استقبلوا الأمر بالاختيار، واقترحوا على نبيّهم بسؤال الإذن لهم في القتال، فلمّا أُجيبوا إلى ما ضمنوه من أنفسهم ركنوا إلى التّكاسل، وعرّجوا في أوطان التّجادل والتّغافل. ويقال إنّهم أظهروا التّصلّب والجدّ في القتال ذبًّا عن أموالهم ومنازلهم حيث ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٦].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٤) سورة الأنفال، الآيات: ٨٣-٨٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

فلذلك لم يتمّ قصدهم لأنّه لم يَخْلُص لحقِّ الله عزمُهم، ولو أنّهم قالوا: وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله لأنّه قد أمرنا، وأوجب علينا، فإنّه سيّدنا ومولانا، ويجب علينا طاعة أمره لعلَّهم وُفِّقُوا لإتمام ما قصدوه.

نسوا حقّ الاختيار فنظروا إلى الحال بعين الظّاهر، فاستبعدوا أن يكون طالوت ملكًا لأنّه كان فقيرًا لا مال له، فبيَّن لهم أنّ الفضيلة باختيار الحقّ، وأنّه وإن عَدِمَ المالَ فقد زاده الله علمًا ففَضَلَكم بعلمه وجسمه، وقيل أراد أنّه محمود خصال النّفس، ولم يُرِدْ عظيم البِنْيَة فإنّ في المثل: " فلان اسمٌ بلا جسم" أي ذِكر بلا معنى.

من أسماء الله الحسنى: الواسع:

شرح اسم الله الواسع:

- هو الذي وسع جوده جميع الكائنات، وعلمه جميع المعلومات، وقدرته جميع المقدورات، فلا يشغله شأن عن شأن[1].
- ومن علم أنّه الواسع رحمة وعلمًا، رجا اتّساع رحمته، وخشي اتّساع علمه، فكان بين الخوف والرّجاء في عموم أوقاته.
- واعلم أنّ سعة جوده على ضربين؛ نعمة نفع، ونعمة دفع[2]، فنعمة النّفع: ما أولاهم، ونعمة الدّفع: ما زوى عنهم وكفاهم، وليس من تمام النّعمة انتظام أسباب الدّنيا، والتّمكين من تحصيل المنى، بل ألطاف الله تعالى إلى ما يزوي عنهم من الدّنيا أكثر، وإحسانه إليهم أوفر[3].
- واعلم أنّ قرب العبد إلى الله سبحانه، على حسب تباعده من الدّنيا. قيل: أوحى الله ﷻ إلى داود عليه السّلام "يَا دَاوُدُ، إِنَّ أَهْوَنَ مَا أَصْنَعُ بِالْعَالِمِ إِذَا أَسْكَرَهُ حُبُّ الدُّنْيَا عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي أَنْ أَنْزِعَ مِنْهُ حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِي"[4]، نسأله سبحانه الحفظ، والعصمة، بمنّه وكرمه.

التّعلّق باسم الله الواسع:

طلب سعة جوده علمًا، وحالًا، ورزقًا، حتّى تتّسع دائرة العلوم والمعاني، والأخلاق، والأرزاق، والفهوم، وتتّسع دائرة الشّهود، بالخروج من ضيق الأكوان إلى فضاء الشّهود.

من أسماء الله الحسنى: العليم (سبق ذكره)

في الأمر والنّهي

العمل بالآيتين:

- ألحّ على الله بالدّعاء أن يجعلك ممّن اصطفاه ربّنا سبحانه في الدّنيا والآخرة، ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾.

(١) وقال بعض العارفين: الواسع الذي لا نهاية لبرهانه، ولا غاية لسلطانه. وقيل: واسع في علمه فلا يجهل، واسع في قدرته فلا يعجل. وقيل: الواسع الذي لا يعزب عنه أثر الخواطر في الضّمائر. وقيل: الواسع الذي إفضاله شامل، ونواله كامل.

(٢) ويعبّر عنها أيضًا بنعمة المنع.

(٣) فنعمة الله تعالى على عبده فيما يقبضه عنه من الدّنيا أكثر وأوفر من نعمته عليه فيما يبسطه له منها، لأنّ قربه منه بقدر بعده عن الدّنيا. حكي أنّ الوزير المعتصم بعث مالًا إلى أبي الحسين النّوريّ، ليفرّقه على أصحابه، فوضعه النّوريّ في بيت، ثمّ قال للفقراء: ادخلوا البيت، واحملوا منه بقدر حاجتكم فدخلوا، فمنهم من أخذ دانقًا، ومنهم من أخذ درهمًا، ومنهم من أخذ أكثر، فلمّا خرجوا قال لهم: قربكم من الحقّ وبعدكم على مقدار ما أخذتم.

(٤) ذكره يحيى بن الحسين الشجري في ترتيب الأمالي الخميسيّة، حديث رقم: ٤٠٧، باب: في ذكر ما ينبغي أن يكون عليه العالم.

من الكبائر: الحسد وتمنّي زوال النّعمة عن الغير

- الحَسَدُ هو أن تشعرَ في قلبِك فرحةً لِبلاءٍ قد نَزَلَ بِفلانٍ، أو حُزنًا لنعمةٍ مِن نِعمِ الدّنيا قد جاءَت له، وهذا ما يُسمّيه الكثيرونَ بـ"الغيرة من فلان" وهو على الحقيقة حسد. وهو أن تتمنّى زوال النّعمة عند الآخر ولو لم تقل ذلك، ولكنّك انزعجت لمّا جاءته النعمة. ولا يكونُ إلّا عَلى نِعْمَةٍ من نِعَمِ الدُّنْيا.
- والحاسد معترض على قسمة الله غير راض بقضاء الله.
- قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا...﴾[1].
- فمَن فرحَ ببلاءٍ حصلَ لفلان، فهو يحسدُه. ومن حَزنَ لنعمةٍ أنعمَ الله تعالى بها على فلانٍ، فهو يحسده والحسدُ درجات، على قدر حزنه أو فرحه بما ذكرنا. قالَ رَسولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ، فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»[2].

في الأخلاق والآداب

التخلّق باسم الله الواسع.

وَالتَّخَلُّقُ باسم الله "**الواسِع**" هو بأن يكونَ واسِعَ العلم واسع الاطّلاع واسع المعرفة واسع النّفع واسع الصَّدرِ، وأن يَتَقَبَّلَ آراءَ المُخالفينَ لَهُ، وَيستَمِعَ وَيَزِنَ الأمور بِعَقْلِه. وَكَذَلِكَ أن يكونَ سَريعَ الرِّضا إذا غَضِبَ، يَقبلُ الاعتذارَ ممَّن اعتَذَرَ مِنه، ولا يُعاتِبُ وَيُفَنِّدُ الأخطاءَ بَل يتجاوزها.

التخلّق باسم الله تعالى العليم. (سبق ذكره)

التوجيهات:

- الثبات عند الابتلاء من صفات المؤمنين، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.
- قد يصطفي الله من عباده علماء، ودعاة، وعبادًا، وفقراء، وتجارًا وملوكًا؛ فلا تكن حاسدًا لأحد منهم، ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾.
- احذر التّطلّع إلى المناصب إرضاءً لنفسك، فإنّها فتنة وإن ابتُليت بها فاستعن بالله عليها، واقترب من الله أكثر.

في السّيرة والشّمائل

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»[3].

في هذا الحديث نهيٌ للمسلم أن يطلب الإمارة. وقد بيّن أهل العلم حكمة ذلك؛ أنّ الشّخص المُقدِم على طلب الإمارة، لعظم شأنها، وجلال موقعها، وكثرة ما يلابسها من فتن وشهوات، وعوارض الأحوال؛ عرضةً لأن يخون ما وكّل إليه من أمانات، أو على أقلّ ما يُخاف عليه منها: أن يقصّر في القيام بما يجب عليه، أو يضعف عن حمل أمانتها.

(١) سورة آل عمران: ١٢٠.
(٢) رواه أبو داود في سننه، عن أبي هريرة. رقم الحديث: ٤٩٠٣. كتاب: الأدب. باب: في الحسد.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الرحمن بن سمرة، حديث رقم: ٧١٤٦، كتاب: الأحكام، باب: من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ»[1] فمن كان يعلم هذا الخطر العظيم، ثمّ هو مع ذلك، يحرص عليها ويطلبها؛ فهذا إنّما ينظر في غالب أمره إلى مغانمها، لا إلى واجباتها؛ ومثل هذا يجب أن لا يولّى.

يوسف ﷺ إنّما طلب الولاية، لأنّه علم أنّه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح، وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أنّ ذلك فرض متعيّن عليه.

في السّلوك

الإشارة: ترى كثيرًا من النّاس يتمنّون أن لو ظفروا بشيخ التّربية، ويقولون: لو وجدناه لجاهدنا أنفسنا أكثر من غيرنا، فلمّا ظهر، وعُرف بالتّربية، تولّى واحدهم ونكص على عقبيه، وتعلّل بالإنكار واخترع الأعذار، إلا قليلًا ممّن خصّه الله بعنايته. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2] سبحان مَن لم يجعل الدّليل على أوليائه إلا من حيث الدّليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا مَن أراد أن يوصله إليه.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

أكثر اليوم من دعاء: ربّ زدني علمًا وَزِدني بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ. فبسطة الجسم بسلامة الجسم، وبالأخلاق الحميدة.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٧١٤٨، كتاب: الأحكام، باب: ما يكره من الحرص على الإمارة.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.